**جامعة زيان عاشور بالجلفة**

**كلية العلوم الإجتماعية والإنسانية**

**قسم العلوم الإنسانية**

**د/ بن عمار م .أستاذ محاضر(أ)**

**محاضرات مقياس:الدولة العثمانية والمشرق العربي قرن(20-15)**

**محاضرات السداسي الثاني-المحاضرة الأولى : حركات التمرد في الدولة العثمانية :الحركة الوهابية محمد علي باشا**

يقول المؤرخ تونبي :إن إدارة الدولة العثمانية للشرق الأوسط كانت خير إدارة على مدى التاريخ وحتى يومنا هذا ،وإن الدولة العثمانية هي الوارث بحق للإمبراطورية الرومانية ، إذا من كلام تونبي نتطرق لسؤال مهم هل حافظت الدولة العثمانية على الإستقرار في الولايات العربية ؟

تغيرت أحوال الدولة العثمانية مع مطلع القرن 18 على جميع الأصعدة ،وبذات الدخول في مرحلة الا إستقرار والضعف الإقتصادي وهذا كله راجع إلى الفوضى والصراع داخل الأسرة الحاكمة من جهة وحروب الدولة العثمانية على حدودها من جهة .

هذا التغير الحاصل كان له الأثر البالغ في الولايات العربية والتي بدورها شهدت تغيرات سياسية وإجتماعية وثقافية أدخلتها في فوضى ولا إستقرار وفي صذام مباشر مع السلطة المركزية مما أضعف الولايات العربية والدولة العثمانية على السواء وجعلها عرضة للتدخلات الأجنبية .

وعلى ذكر الأزمات في الولايات العربية يمكننا عرض نموذجين بارزين وهما الحركة الوهابية في بلاد الحجاز وتمرد محمد علي باشا في مصر .

**الحركة الوهابية** :هي حركة تنسب إلى مؤسسها محمد بن عبد الوهاب 1703—1792 وهو من أسرة مارس افرادها القضاء في مدينة العينية ودرس محمد في الحجاز والبصرة باديء اوخلال مشواره الدراسي تأثر كثيرا بتعاليم أحمد بن حنبل وأحمد بن تيمية ومن ال التي رفعتها الحركة مبدأ التوحيد والذي حسبهم تعرض للكثير من التشوهات والإنحرافات دية لبعض الحركات التي إستغلت الظروف wسببتها المفاهيم الفكرية والأراء العقا السياسية وضعف المرجعيات الدينية والتي تورطت في السياسة والدروشة وتخلت عن العلم والدعوة الصحيحة وفق كتاب الله وسنة رسول الله ،وتعتبر الدعوة الوهابية أول حركة إصلاحية سلفية في العصر الحديث، كما أنها أولى الحركات الإصلاحية التجديدية التي ظهرت في الدولة العثمانية . وستتلوها حركات إصلاحية أخرى تنبثق في أجزاء أخرى من

العالم الإسلامي، وقد لقيت دعوة محمد بن عبد الوهاب صدى وقبول عند الكثير وأصبح أتباعها في تزايد ،كما أن دعوة محمد بن عبد الوهاب فتحت الباب أمام الإجتهاد مما أدخلها في صراع مع الحركات الصوفية .

إذا وبعد تزايد أتباع محمد بن عبد الوهاب وتوسعها في بلاد الحجاز والعراق لقيت حماية ودعم من قبل أل سعود وهنا وقع الأرتباط الديني مع السياسي واصبح هذا التكتل الأصلاحي الجديد والرافض لكل مظاهر البدع والخرافات والداعي إلى تحكيم شرع الله ورفض الظلم بكل أنواعه ،وتطور فكره واصبح سياسي ورافض لسياسة الدولة العثمانية في المنطقة ،هذا التطور الجديد في المنطقة دفع بالدولة العثمانية التوجس من هذا التكتل الجديد ورأت فيه خطرا على مصالحها ولابد من القضاء عليه ، وكان السبب المباشر والذي أثار حفيظة الباب العالي هو منع أل سعود الحجاج الوافدين من الشام ومصر الدخول إلى بلاد الحرمين وفق طقوس غريبة من ضرب للدف ومعازف ،وهنا رأت الدولة العثمانية أن هذا القرار الإنفرادي بمثابة عصيان للدولة وإنقاص من هيبتها ،وهنا كان رد فعل الدولة العثمانية بحملة دعاية شرسة قام بها رجال الدين والصوفية ضد حركة محمد بن عبد الوهاب ورأت أنه غير في الدين وانه مارق بل وحتى تكفيره لأنه تعدى على الحجيج وعيرو زينة قبر الرسول صلى الله عليه وسلم .

كلفت الدولة العثمانية واليها في مصر محمد علي باشا القضاء على الحركة الوهابية وهذا ماتم بالفعل.

خرج محمد علي بنفسه إلى الحجاز سنة 1813م وقبض على شريف مكة (غالب بن ساعد وإتهمه بالتأمر مع السعوديين ،وصادر مايملك من أملاك واموال ،وعاد محمد علي مصر تاركا إبنه طوسون مواصلة حربه ضد السعوديين يث إحتل الشبية ثم توجه نحو الدرعية ،وهنا أدرك الأمير عبد الله ضرورة المفاوضات لتجنب الكثير من الخسائر ،وكانت بالفعل مفاوضات الصلح وفق الشروط التالية :1-إحتلال القوات المصرية لمنطقة الدرعية 2-أن يضع الأمير عبد الله نفسه تحت تصرف طوسون باشا فيسافرإلى الجهة التي يريد أن يسافرإليها ،لكن الأمير عبد الله رفض هذه الشروط وطلب بمفاوضات جديدة مع محمد علي فأرسل وفدا له ،لكن محمد علي بقي مصرا على الشروط السابقة ومن ثم قرر محمد علي إرسال إبنه إبراهيم باشا في حملة ثانية وضرب حصارا على منطقة الدرعية من 6أفريل حتى 9سبتمبر1818م حتى إستسلام الأمير عبد الله بن سعود والذي أرسل إلى القاهرة ثم إلى إسطانبول وهناك حكم عليه بالإعدام شنقا ،لكن هذه الحركة عادة من جديد ونضمت نفسها مستفيدة من ضعف الدولة العثمانية وإنشغالها بحروبها الخارجية .

**تمرد محمد علي والي مصر 1805-1848م**

عين محمد عليا واليا على مصر سنة 1805م بعد طلب تقدم به أعيان وكبار وعلماء مصر للاستانة رافضين لحكم الوالي خورشيد باشا الذي حكمهم بقوة الناروالحديد واثقل عليهم بالضرائب ،قام محمد علي بإصلاحات في جميع الاصعدة وكان له هدف كبير وهو الأستقلال بمصر وباقي البلاد العربية في المشرق .

أنشأ محمد علي جيش من المرتزقة وإتبع سياسة إقتصادية ومالية ،كانت نتائجها وخيمة ومدمرة على مصر ،كما إمتنع عن دفع الجزية إلى الباب العالي وضرب نقود بإسمه ،ثم شرع في عمليةا لتوسيع فأرسل حملة إلى الحجاز أزاحت شريف مكة ونصبت مكانه أحد الموالين له وبذالك إزداد نفوذه وشاع في العالم الإسلامي خاصةبعد أن سيطر على طرق الحج ،

أما العمل الذي قام به بعد ذلك فكان في سورية التي كانت تحظى بالاهتمام التقليدي لحكام مصر. ولقد صمم محمد علي على الاستيلاء على سورية بسبب الدوافع الاستراتيجية التي تتلخص في ضرورة إقامة منطقة حاجزة بين ممتلكاته في وادي النيل والمراكز القديمة للقوة العثمانية في الأناضول. ويرجع اهتمامه بهذا الإقليم إلى عام 1821م.

وحاول محمد علي في بادىء الأمر أن يستولي على سورية بالوسائل السلمية، وتقدم بطلب ذلك إلى استانبول في عام 1827م، ولكن السلطان رفض طلبه. ولذلك حاول أن يجد مبررة للتدخل في شؤون سورية، ووجد ذلك في سلوك عبد الله باشا الذي لم يعد يهمه استمرار الصداقة مع الوالي ، فاوى الفلاحين المصريين الذين فروا من مصر تخلصة من الخدمة العسكرية وامتنع عن إرجاعهم. وكان هذا هو السبب المباشر للحرب، وفي أكتوبر 1831 عبرت القوات المصرية بقيادة إبراهيم باشا الحدود وتحركت نحو عكا، ولقد استطاع محمد علي في الفترة التي تلت انسحاب قواته من المورة أن يبني جيشه وأن يعيد تكوين أسطوله الذي تحطم في نهارين، وكان بشير الثاني من اهم حلفائه المخلصين، وقدم أتباعه لمحمد على خدمات قيمة في أثناء تقدم الحملة . ولم تكن هذه الحرب في بادىء الأمر أكثر من صراع بين حكام بعض الولايات المجاورة ولا يختلف عما كان يحدث خلال

القرنين السابقين. ونتيجة للتطورات الجديدة التي ظهرت في استانبول لم تتردد الحكومة العثمانية في أن تعلن خروج محمد علي على سلطة السلطان.

وأمام الضغط المحلي والدولي وكي يبرر محمد علي تمرده على الدولة العثمانية صرح بأنه علي أنه سيخلص الإمبراطورية من السلطان الفاسد الذي قضى على التقاليد الإسلامية واتبع أساليب الحياة الغربية. ولقد أثار هذا القول دهشة بالغة لأن محمد على نفسه كان قد بدأ برنامجه الإصلاحي المبني على الحضارة الغربية قبل محمود الثاني . وفي يناير عام 1833م بدأت الإشاعات تتردد عن عقد محالفة تركية روسية. ولقد كانت مصالح الروسيا تقتضي بقاء الدولة العثمانية على حالها من الضعف، فلما رأت جيش محمد علي يجتاح الشام ويشرف على جبال الأناضول، تخوفت من مسيرته إلى القسطنطينية واستيلائه عليها، والقضاء على مطامع الروسيا فيها. وقد أزعج بريطانيا وفرنسا أمر هذا التدخل، وحاولت إنهاء الخلاف بين الوالي والسلطان حتى لا تجد روسيا سببا للتدخل. وضغطت كل من الدولتين على محمد علي والسلطان،وبعد المفاوضات التي دارت بشأن هذا الموضوع، تخلى السلطان محمد علي عن سورية وإقليم أدنه، مع تثبيته على مصر وجزيرة كريت والحجاز، مقابل أن يجلو الجيش المصري عن باقي بلاد الأناضول. وقام إبراهيم باشا بسحب قواته من الأناضول بعد أن تم تسجيل هذه المسائل المتفق عليها في صلح الكوتاهية (مايو 1833). وهكذا سيطر والي مصر على كل سورية الجغرافية (أي الشام بجميع أجزائه كما كان الحال في عهد سلطنة المماليك، وقبل محمد علي أن يحكم الولايات السورية مدى الحياة فقط، وتعهد بدفع الجزية السنوية إلى السلطان، وبأن يظل تابعة له. ومن خلال عرضنا للحركة الوهابية وتمرد محمد علي نصل إلى نتائج مهمة أولا أن سياسة الدولة العثمانية في الولايات العربية من ظلم االولاة وارتفاع الضرائب وتفشي الفقروأنتشار البدع والخرافات دفعت بالثورة ضد هذ الواقع السيء ،كما أنها شجعت الطموحات الشخصية لبعض ولاتها لطلب الإستقلال الذاتي مثل محمد علي والظاهر عمر في فلسطين واحمد باشا الجزار في سوريا .

والنتيجة المهمة هي أن الفوضى واللا إستقرار عجل بالتدخل الأوربي في الدولة العثمانية والذي أصبح يعرف بالمسألة الشرقية وتركة الرجل المريض .